وجع القلب

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

وجدت بالتجربة أني لا أستطيع أن أحب كما تريد المرأة من الرجل — ولست أعني أني عاجز عن الحب، فما أعرف لي في هذه الدنيا عملاً غير ذلك. فأنا أحب الطعام الجيد والشراب اللذيذ والنوم الهنيء والراحة التامة؛ وأحب الكتب والصديق الموافق الذي لا ينغص الحياة على صاحبه بطول المخالفة وكثرة المكابرة ودوام الشذوذ؛ وأحب أشياء كثيرة لا أستطيع أن أحصيها. ولكني أحب نفسي وهذا هو البلاء الأكبر. وليس هو ببلاء، إذا أردت الحق، ولكن المرأة تراه كذلك. وعندها أنك تبيع نفسك حين تحبها. ولا بأس بأن يبيع المرء نفسه أحياناً، ولكن بيعها لا يستلزم أن تترك حبها وتكف عنه. وهل يعقل أن تفيض حبك على الناس والأشياء ولا تختص نفسك ببعض هذا «الفيضان؟» غير أن غير المعقول عندك هو المعقول عندها والذي لا يجوز خلافه ولا صبر لها على سواه، فهي من أجل ذلك تسود عيشك وتريك النجوم في الظهر الأحمر. على أن الرجل يستطيع أن يخفي حبه لنفسه أو يموهه ويستره بما يحجبه، ولا أظن أن في هذا عسراً فأنه يفعل هذا كل ساعة ولا يزال يعزو أعماله إلى بواعث أخرى يظنها أشرف وأسمى من حب النفس، فهو مثلاً يأكل لا لأنه يشتهي الطعام بل لأن من واجبه أن يحرص على أن يظل قوياً قادراً على خدمة النوع الانساني، وعلى هذا فقس! غير أن هناك ما لا سبيل إلى ستره وكتمانه أو تمويهه، إذ من الواضح مثلاً أن من العبث أن تنظر إلى اليمين وأن تروح تزعم أنك إنما كنت تنظر إلى الشمال، فان اتجاه العين لا يخفى ولفتة الوجه لا مغالطة فيها. فاذا كانت النظرة إلى امرأة وأنت مع أخرى فالويل لك ولست مسئولاً عنك.... قالت لي مرة إحداهن وأنا معها وقد رأت عيني تدور: «بص هنا» وجذبتني من ذراعي، فقلت وأنا مستغرب: «ولماذا لا أبص هناك؟» قالت: «كده» بهذا الايجاز الذي لا يفيد شيئاً؛ فقلت: «كده يعني ماذا؟» قالت: «كده» ولم تزد. فضاق صدري فقد عجزت أن أفهم سر هذا الأمر المتعب أو حكمته وقلت: «ياستي.. إن الله قد خلق عيني متحركة غير ثابتة فكيف ألزمها الثبات؟ ثم هبيني استطعت ذلك فلماذا أتكلفه؟»

فقالت: «عيب!»

فصحت «عيب؟! ياخبر اسود!!»

فقالت: «لا يليق أن تنظر إلى الفتيات في الطريق»

ففهمت ولكني لم أقتنع وقلت: «إن لي على هذا وداً طويلاً فهل تسمحين بأن تسميه؟»

قالت بتهكم: «نعم يا سيدي...»

فتجاوزت عن لهجة السخرية إذ حسبي موضوع واحد للخلاف وقلت: «أولا — لماذا تظهر الفتيات لنا معاشر الرجال في الطريق إذا كن لا يردن أن ينظر اليهن أحد؟ ثانياً — وهذا أهم — لماذا يظهرن في حفل من الزينة إذا كان لا يرضيهن أن يدر الرجال فيهن عيونهم؟ ثالثاً — وهذا هو الأهم — بأي وجه ألقى الله يوم القيامة إذا كنت أغمض عيني وأتكلف العمى ولا

ولهم عقول عجيبة في اختراع الألفاظ حتى لتكون شدة الوضوح في عبارة هي بعينها الطريقة لاخفاء الغموض في عبارة أخرى. وكثيراً ما يأتون بألفاظ منتفخة تحسب جزلة بادنة قد ملأها معناها وهي في السياسة ألفاظ جبال تستكمل حلها مدة ثم تلد

ولهم من بعض الكلمات السياسية كما لهم من بعض الرجال السياسيين، فيكون الرجل من دهاتهم رجلاً كالناس وهو عندهم مسمار دقوه في أرض كذا أو مملكة كذا، ويكون اللفظ لفظاً كاللغة وهو مسمار دقوه في وثيقة أو معاهدة

ثم ضحك الباشا وقال: إن أرضنا تخرج القطن وسياستنا تخرج ألفاظاً كالقطن لا توضع في المعزل إلا مدت وحولت[1]. وإذا ذهبنا نخالفهم في التأويل والتفسير لم نجد عندنا المعجم السياسي الذي يملي النص. أتدري يا بني ما هو المعجم السياسي؟

أما إنه لو كان كتاباً يتألف من مليون كلمة لذهبت كلها عبثاً وباطلاً وهراء، ولكنه ذلك المعجم الحي، ذلك المعجم الذي يتألف من مليون جندي.....

(طنطا) عبد القادر المازني

(١) لا ينس القارئ أن هذا كان في سنة ١٩٢٠

أنظر إلى مخلوقاته التى أبدعها ؟؟ وقد خلق لى عينين فلا عذر لى ، ورزقنى غير ذلك وسائل القدرة على إدراك معانى الجمال فى خلقه سبحانه .. أليس من الواضح أن مما يخجلنى يوم القيامة أنه تعالى خلقنى بصيراً فآثرت العمى ، ومحساً مدركا ففضلت الجهل والبلادة ؟؟ وأخيراً — لا آخرا — ما الضرر على كل حال من النظر إلى الناس ؟؟ ماذا خسرت الفتاة التى نظرت اليها ؟ .. هل أنا أكلتها بعينى ؟ هل نقصت شيئاً ؟؟ إنى أراها على العكس قد زادت ... نعم زادت ... لماذا تنظرين إلى هكذا ؟؟ هل نطقت كفراً ؟؟ أقول لك زادت لأنها استفادت إحساساً جديداً مؤيداً لاحساسها بجمالها ، ولو كنت لم أنظر إليها لكانت خليقة أن يساورها الشك فيما تحس من نفسها أو تعتقد ، فأنا قد افدتها راحة البال واطمئنان الخاطر ، وإنى لجدير بالشكر على هذا لا اللوم »

فصاحت بى بعد طول الصمت : « طيب اسكت بقى »

فقلت وأنا ضجر : « هكذا أنتن يا نساء ! ! إذا أعوزتكن الحجة قلتن : طيب اسكت بقى .. ولكنى لا أنوى أن أسكت « بقى » فقد مرن لسانى على الدوران وأنا أحس اليوم أنى أوشك أن أقول كلاماً بديعاً »

فصاحت بى : « أنا معك فكيف تنظر إلى غيرى ؟ »

فقلت : — وقد فهمت — « آه .... هذه هى المسألة ... قولى هذا من الصبح يا ستى ... نعم أنت معى ... وإنك لحسبى من عالم الجمال والفتنة ، ولو وسعنى غير هذا لما كنت حسبى ... ولكنى قانع غير متذمر ... غير أنك مع الأسف لست كل النساء .. وأنت تغنين عن جنسك أحياناً ولكنك لا تستطيعين أن تغنى عن هذا الجنس فى كل حين ؛ وليس ذنبى أنك قاصرة . »

فقاطعتنى صائحة : « قاصرة ؟؟ أشكرك »

قلت : « نعم قاصرة عن اختزال جنسك كله فى شخصك الواحد »

فأبت أن تسمع منى بعد ذلك فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. الأمر لله ... سكتنا يا ستى .. فلعلك تكونين مسرورة »

ولكنها لم تكن مسرورة ولم تغفرها لى قط ... وأنا أقول تغفرها بغير تعيين أو تبيين لأنى والله لا أدرى إلى هذه الساعة أى شىء أغضبها وأثار نقمتها على

وحدث مرة أخرى أن كلفتنى أن أشترى لها فاكهة وكنت أعرفها تحب الجوافة حباً جماً فانتقيت حبات طيبة الرائحة ذكية العبق واشتريت لها فاكهة أخرى ، ولكن الجوافة كانت هى المهمة والتى عليها الكلام ؛ وذهبت بحملى اليها ، ودخلت به حجرة الانتظار ، وقلت لخادمتها : « قولى لسيدتك صباح الخير يانور العين . لقد حضر سيدك ، ونور عينك اليمنى — واليسرى أيضاً فى الحقيقة — ومعه حمل بعير من الجوافة بل من أبدع أنواعها »

فذهبت الخادمة وأبلغتها الرسالة فأطلت تلك من باب غرفتها — بوجهها فقط — وصاحت وهى فرحة — صحيح ؟؟ جوافة ؟؟ حلوة !؟ »

ففتحت الكيس وأخرجت واحدة ورفعتها لها بين أصابعى وأدرتها أمام عينيها فابتسمت ابتسامة السرور وقالت : « حالاً . حالاً ... دقيقة واحدة » ودخلت

وبقيت أنا أتمشى فى الحجرة ، ولم يكن فيها ما يسلى المرء ، ولم يكن معى كتاب أقرأه وأزجى به الفراغ فجعلت أقوم وأقعد ، وأنظر تارة فى المرآة ، وأمسح الطربوش تارة أخرى ، وأنفض عنه ما علق به من التراب . . ومسحت الحذاء أيضاً . . مسحته مرتين حتى صار جلده كالمرآة ، وحتى حدثتنى نفسى أن أحلمه أنظر إلى وجهى فيه ، ولكنى خفت أن تدخل على وأنا أفعل ذلك . . وتأملت الحرير الذى كسيت به الكراسى ، ورفعت طرف السجادة وجسستها وفركت وبرها بأصابعى ، ثم لم أجد شيئاً آخر أصنعه فى هذه الفرفة ، فانحططت على كرسى كبير وثير واضطجعت وفى مأمولى إذا نمت ألا توقظنى حين تدخل . ولكنى لم أنم لأن رائحة الجوافة الذكية كانت قوية ، فقد نسيت الكيس الذى هى فيه مفتوحاً ، فتسور إلى أنفى أريجها وملأ صدرى وأدار رأسى ، فأحسست بالجوع ولكنى ضبطت نفسى وشددت على اللجام وقلت : « أللهم اخزك يا شيطان ! » غير أن الشيطان شديد الغواية قوى الفتنة فجعل يقول لى : « وما حبة واحدة تأكلها فتنيم بها هذه الثعالب التى تمزق أحشاءك ؟ » فقلت : « والله لقد صدق اللعين .. فلآكل كل حبة واحدة من الجوافة اللذيذة .. ثم إن هذا عدل . . أفأحلها وأحرمها ؟ ؟ وأكون كالعير التى يقولون إنها

يقتلها الظمأ وهي تحمل الماء على ظهورها في القرب ؟ أو كالحمار الذي يحمل أسفاراً ؟ ؟ . »

ومددت يدي إلى الكيس وأنا يقظان كنائم ، وتناولت منه من غير أن أنظر إليه : وطابت الجوافة في فمي ، فأقبلت عليها آكل وآكل — ولكن بغير احتفال والله — وإذا بصاحبتنا تدخل مؤهلة مرحبة باسطة يديها للسلام ، ثم إذا بها تقف في وسط الغرفة الفسيحة وعينها مفتوحة جداً عليّ ، فلم أستغرب ، فقد كان فمي محشوا وأسناني تعمل دائبة كالليل والنهار . وتنبهت إلى واجبي حين رأيتها تحملق على هذا النحو ، فبلعت ما بقي في فمي بسرعة ، ومططت عنقي ليسهل الانزلاق — أعني البلع — وانحنيت على الكيس لأتناوله وأقدمه إليها وأسرها به — أعني بالجوافة التي فيه — وإذا به ينطبق بين يدي لأنه فارغ ! !

الحق أقول إني بهتّ ، فما كان يخطر لي في بال أن آكل كل هذه الجوافة . ولو أن إنساناً راهنني أن أفعل لفزعت وأشفقت على نفسي ، ولكن هذا الذي لم أكن أحسب أن لي قدرة عليه وقع اتفاقاً . . وقد سرني هذا في الحقيقة لأنه كان من بواعث الاطمئنان لي على صحتي ، وكان جديراً بها أن تهنئني وتفرح لي ، فان الجوافة كثيرة وهي في السوق أكوام عظيمة ، والجيد الطيب ليس بالقليل ، وثمنه شيء تافه لا يستحق الذكر ... ولكنها وجمت يا أخي لا أدري لماذا ؟ ووقفت جامدة لا تتحرك كأنما سمرت إلى الأرض ، فأزعجني ذلك وخفت أن يكون قد أصابها شيء لا قدر الله ، وأقبلت عليها أسألها عما جرى لها ؛ فلما أفاقت أشارت بيدها — دون أن تتكلم — أن اذهب . . اذهب ولا أرني وجهك ! فاستغربت أن تلقاني بهذه الجفوة بعد ذاك الترحيب والتأهيل والبشر الذي كان يفيض به وجهها وهي مطلة به من بين مصراعي الباب ، وتمنيت لو أنها تبقى أبداً ووجهها بين المصراعين ليبقى لي بشرها وحلاوة ابتسامها ! !

الحق أني لا أفهم النساء .... وهل تستطيع أنت أن تفهم كيف يفسد الحال وتقع النبوة بين رجل وامرأة من أجل أقة من الجوافة ثمنها قرش ونصف قرش ؟ إن كنت تفهم هذا فاني أحسدك وأدعو لك بالتوفيق إن شاء الله

ابراهيم عبد القادر المازني

صور سياحية

١ — فرنسا وباريس

بقلم سائح متجول

تأثرت مصر بالثقافة الفرنسية طوال القرن الماضي ؛ ولم يكن ذلك لأن مصر أمة من أمم البحر الأبيض تميل بخواصها وموقعها إلى الأخذ بالثقافة اللاتينية ، ولكن لأن ظروفا خاصة اجتمعت منذ الغزوة البونابارتية لتحمل مصر فيما بعد على الاستعانة بالفرنسيين في مشروعات الاصلاح والتجديد وإرسال بعوثها العلمية الأولى إلى فرنسا . هذا هو الأصل في تأثر مصر بالثقافة الفرنسية ، وهو عارض تاريخي محض ، لا دخل فيه للعوامل الجغرافية أو الميول والخواص الجنسية ؛ ومن ثم فاننا نرى أثر الثقافة الفرنسية في مصر يضمحل اليوم ، لأن مصر تختار اليوم لنفسها من مختلف الثقافات ، لتبني ثقافتها القومية ، ولا تقف عند ثقافة دون أخرى

ومع ذلك فما تزال الثقافة والآداب الفرنسية تحظى منا بأكبر عناية ؛ وما تزال فرنسا تجذب منا أكبر عدد من الزائرين ؛ وما يزال اسم باريس يثير في نفوسنا سحرا لا يقاوم ؛ بل إن كثيراً من أولئك الذين لم يروا باريس يعرفونها معرفة عقلية وروحية شاملة : يعرفونها من الكتب والصحف والسينما ، وتربطهم بها روابط فكرية قوية ؛ وما تزال أول أمنية للسائح المبتدئ أن يرى باريس

وقد حظيت باريس من العربية بكتب ورسائل عديدة ، وحظيت في العهد الأخير بكتابين لاثنين من كتابنا المعروفين ، وصفت فيهما معاهدها ومغانيها وجوانب كثيرة من حياتها الاجتماعية ، وانك لتقرأ في الكتابين فصولاً وشذوراً تفيض اعجاباً بفرنسا وباريس وكل ما هو فرنسي ، بل إنك لتشعر من خلال تلك الفصول الحارة المتدفقة أن فرنسا هي أمة الأمم ، وأن باريس هي مدينة المدن وإلهة الجمال والعلوم والفنون ؛ وما زالت هذه الألوان الوردية المغرقة تطبع كل ما نكتب عن فرنسا وباريس

على أنه يلوح لنا أن هذه الفتنة التي قد تجد مبرراتها في بعض المؤثرات والظروف الخاصة ، والتي تثيرها في معظم الأحيان